دور وسائل الاتصال الحديثة في انقلاب القيم داخل المجتمعات العربية

د. ليلى مداني
جامعة بومرداس- الجزائر

ملخص:

إن الثقافة بشكل عام والقيم بشكل خاص التي يتم الترويج لها من خلال أدوات الاتصال المختلفة خاصة في ظل التطور التكنولوجي سواء تعلق الأمر بوسائل الإعلام والاتصال أو حتى خاصة تكنولوجيا التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية هي ثقافة هجينة، تختلف بشكل كبير عن تلك التي ورثناها عن آبائنا، فقد بدأت الكثير من الثقافات والقيم الدخيلة تترسخ داخل المجتمع العربي، خاصة من خلال المساس بالقيم المرتبطة بالمعتقدات الدينية والأخلاقية وحتى الأعراف والتقاليد، والتي لا طالما شكلت ركيزة أساسية في بناء المجتمعات واستقرارها وحتى استمرارها، لذا لا بد من التفكير بصفة جدية في كيفية الحد من الهوة بين القيم الأصيلة والقيم التي يجري الترويج لها وإتباعها من طرف فئات واسعة من الشباب العربي، ولعل الخطورة تكمن في ما سيتولد عنها من خلاف وربما عنف وصراع بين الأجيال وحتى داخل المجتمع ككل، فهل تعيش المجتمعات العربية مرحلة أفول للقيم الأصيلة ؟.

الكلمات المفتاحية: القيم، الثقافات الهجينة، وسائل الاعلام والاتصال.

Abstract:

The culture and values that are promoted by the various media and communication, especially the result of technological development with the emergence of modern media and communication technology and social communication through the Internet has produced a hybrid culture and values that have nothing to do with society and differ from many of the cultures and values that founded the Arab societies, Which are fundamental to the building, stability and continuity of societies. This is why important thinking is needed in order to reduce the differences between the inherent values and the values of absolute freedom Followed for many categories of Arab youth, and it is important that the danger lies in what will result in the decline of values and violence and conflict between the generations and even within the society as a whole, does the Arab countries live the decline of basic values?

key words: Values, Hybrids Cultures, Media and Communication

مقدمة:

إن القيم والثقافات الهجينة التي بدأت تتشكل قد تصبح هي السائدة ذات يوم في المجتمعات العربية، طبعا إذا استمرت هذه الاخيرة في الانفتاح السلبي تلبية للرغبات الفردية التي قد تأخذ طابعا عاما عن طريق استخدام وسائل الاتصال الحديثة، وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي للتعبئة وضم أكبر عدد من المتطلعين لذات المطلب (قيم الحرية غير المقيدة)، وبغض النظر عن مدى تطابق تلك المطالب أو اتفاقها مع القيم الأخلاقية السائد، وتأتي تلبية تلك المطالب من الدول استجابة لظروف داخلية أو حتى ضغوط خارجية تمر بها البلدان العربية، خاصة منذ ما يعرف بموجة الربيع العربي التي اجتاحت المنطقة، والتي أوضحت مدى هشاشة الأنظمة العربية، وغياب الرؤية الواضحة لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية، وعليه ارتأينا ضمن هذه الورقة البحثية معالجة إشكالية مفادها:

هل تتجه الثقافات والقيم الأصيلة في المجتمعات العربية نحو الانقراض؟ وكيف ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في انتشار الثقافة والقيم الهجينة (الدخيلة) عن المجتمعات العربية؟

وفي إطار معالجتنا لهذه الإشكالية ارتأينا القيام بعملية مسح انطلاقا من ملاحظة منظومة القيم الأصيلة كإطار مرجعي، والخوض في أسباب انحراف الشباب العربي عن معيار الانتقاء (القيم الأصيلة) سلوكيا ضمن الثقافات التي وفرتها وسائل الاتصال الحديثة، بحيث نتطلع ضمن هذه الورقة البحثية إلى إمكانية التعرض إلى العناصر التالية:

- أسباب انجراف الشباب العربي وراء القيم الدخيلة (الإفلاس الأخلاقي والفقر العاطفي وثقافة الإسراف والاستهلاك).

- دور وسائل الاتصال الحديثة في تسهيل انتشار القيم الهجينة (الدخيلة) في المجتمعات العربية.

- أهمية القيم الأصيلة كإطار مرجعي لاستقرار وبقاء المجتمعات العربية، ومستقبل هذه الأخيرة .

إن التطور التكنولوجي الذي عرفه العالم سابقا لم يكن له ذلك الأثر المباشر على حياة الفرد من خلال إحداث انقلاب في أسلوب حياته، كما يحدث اليوم في ظل التطور التكنولوجي الذي شهدته جميع مجالات الحياة، خاصة في مجال الإعلام والاتصال وكذا من خلال توسع وتعدد مواقع التواصل الاجتماعي، وان كان هذا التطور التكنولوجي يوحي بالكثير من الايجابية ظاهريا من خلال حقيقة تسهيله للوصول إلى المعلومات والتعبير عن الرأي بكل حرية وبالتالي تعزيز الحرية ومنها الديمقراطية إلى جانب التسلية والترفيه

وحتى توفير برامج التعليم المجانية...وغيرها من الجوانب والأمور الايجابية التي يقدمها هذا التطور أو ما أطلق عليه "مارشال ماكلوهان" منذ أكثر من أربعين سنة تسمية الحتمية التكنولوجية Technological Determinism"[1]، إلا أنه عند التعمق في الأمر نجد أن الثقافة التي ولدها هذا التطور التكنولوجي سواء تعلق الأمر بوسائل الإعلام والاتصال، أو حتى خاصة من خلال تكنولوجيا التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية والتي يزداد استخدامها، وفي ذات الوقت تأثيرها يوما بعد يوم، خاصة في الجانب الثقافي والأخلاقي والقيمي، فهي في حقيقة الأمر تعطي في محصلتها النهائية ثقافة هجينة، فقد أوضحت الكثير من الدراسات أن "الأجيال الناشئة تنظر إلى هذه الوسائل كمصدر للقيم والأخلاق مما يجعل تأثيرها لا تقل قوته المرجعية عن الأسرة أو المؤسسة التعليمية وربما حتى الدينية أحيانا"[2]، من خلال تأثيرها على طريقة تفكيرنا وعملنا والتي تختلف بشكل كبير عن تلك التي ورثناها عن أبائنا، فقد أدى ذلك التطور الذي بدى ايجابيا خاصة من خلال تسهيل حياة الفرد، إلا أنه على النقيض منها في الجهة المقابلة من خلال الانعكاسات السلبية التي أدى إلى ترسيخها، كالثقافات والقيم الدخيلة من جهة، وتكوين ثقافة هجينة خاصة من خلال المساس بالقيم المرتبطة بالمعتقدات الدينية والأخلاقية إلى جانب التنميط لحساب ثقافة الاستهلاك والتفاهة، التي ستؤدي حتما إلى تفكك المجتمع وانهياره باعتبار أن ذلك المجال الافتراضي الذي يوفر كل شيء بسهولة قد افقد الأشياء قيمتها وخاصة العلاقات الاجتماعية.

أولا: أسباب انجراف الشباب العربي وراء القيم الدخيلة (الإفلاس الأخلاقي والفقر العاطفي وثقافة الإسراف والاستهلاك).

يعتبر الدين أغنى مصدر للقيم لدى مختلف شعوب العالم سواء كان سماويا أو وضعيا، وتلك القيم التي رسخها الدين عبر الزمن لطالما شكلت الركيزة الأساسية لبناء أي مجتمع ضمن الحدود الأخلاقية التي يضعها، إلا أن التطور التكنولوجي في عصرنا الحالي دفع الأفراد في العالم ككل إلى البحث عن سبل للتحرر من تلك الحدود الأخلاقية التي اعتبرها قيود لحريته، وبالمثل كان حال الشعوب العربية خاصة فئة الشباب "فالتحرر الشخصي والتحرر الاجتماعي يسيران جنبا إلى جنب، ويعتبر الجنس والمخدرات هما أوضح الطرق لتهشيم سطوة الروابط مع الدولة والآباء والجيران والقانون والتقاليد والأعراف المتبعة"[3]، لدرجة أن هناك الكثير من أنماط السلوك التي كانت تعتبر سلوكات شاذة أو لا أخلاقية أو منحرفة أو حتى غير مقبولة، أصبحت اليوم ممارسات علنية سواء كفعل أو قول أو سلوك اعتيادي في المجتمع العربي، كطرق اللباس للذكور والإناث

[1]- محمد علي فرح، **صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع**، دراسات فكرية3، ([د.م.ن]، مركز نماء للبحوث والدراسات[د.س.ن])، ص216.

[2]- أحمد فهمي، **هندسة الجمهور كيف تغير وسائل الإعلام الأفكار والتصرفات**، (الرياض: مركز البيان للدراسات والبحوث، 2014)، ص20.

[3]- إريك هوبزباوم، **عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز**، تر: فايز الصياغ، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص582.

وطرق الكلام والسلوك ومطالب المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء ومطالب التحرر من كل شيء والمخدرات والإجهاض...وغيرها من مظاهر الانحراف، والتي تشكل في مجملها ذلك الجانب السلبي من تأثير التكنولوجيا الرقمية على الشعوب العربية، وخاصة فئة الشباب العربي الذي يتميز بقابليته للاستلاب أكثر من أي شعوب أخرى، نتيجة الأوضاع التي مر بها سواء تلك التي خلفها الاستعمار أو حتى ما جاء بعدها من أوضاع لم تعط الكثير من الايجابيات التي تدفع نحو تقدم وتطور تلك الدول(دول العالم الثالث بصفة عامة).

إن الدول العربية المنبهرة بما وصلت إليه الدول المتقدمة جعلت ذلك الكم الهائل من التطور الذي وصلت إليه يجتاح المجتمعات العربية في مظهره لا جوهره ليهدد بذلك هويتها الهشة، طبعا من المؤسف القول أنه خلال القرون الماضية كانت الإشكالية تطرح بالنسبة للمهاجرين العرب نحو الدول الأوربية مثلا وتأثر أبنائهم بالوسط والتنشئة الأوربية، بحكم تعلمهم في المدارس الأوربية، لكن اليوم أصبح الإشكال يطرح بالنسبة لأبنائنا المتأثرين بمظاهر التقدم لربما أكثر من أبناء المهاجرين، وعليه يمكن أن نحدد مظاهر ذلك التأثر وأسبابه ضمن المصطلحات التالية: "الإفلاس الأخلاقي والفقر العاطفي وثقافة الإسراف والاستهلاك"[1]، هذه المجالات الثلاث التي تعطي في محصلتها النهائية الطبيعة اللا-إنسانية للفرد في العصر الحالي، والأمر راجع إلى التغير الذي تشهده المعايير التي يتم الاعتماد عليها لقياس كفاءة الفرد في المجتمع، طبعا سابقا كان الدين والفكر يحظيان بالأولوية عند مختلف أفراد المجتمع بغض النظر عن المستوى العلمي أو الاجتماعي، أما اليوم فالمعيار الذي يعرف اتساعا هو المادة (ما يملكه الفرد) كمقياس لدى أفراد المجتمع في تصنيف الفرد، وهذا ما يظهر في حياتنا الاجتماعية التي تعرف تسارعا كبيرا إلى جانب معارفنا الالكترونية، وكل ذلك تلبية لتزايد متطلباتنا المادية على حساب الجانب الروحي والقيمي والأخلاقي.

1- **الإفلاس الأخلاقي**: والذي يرجع أساسا إلى انهيار سلم القيم التقليدية نتيجة انهيار الأصول الاجتماعية والدينية كمرجعية أو كقاعدة أساسية لتكوين الفرد "إذ تعيش القيم المتطلعة إلى الوراء والقيم المتطلعة إلى الأمام جنبا إلى جنب، ويدور بين هذه وتلك صراع فكري عنيف تزداد حدته بقدر تشبث القديم بآخر معاقله، والجديد حسب تأكيده لذاته وإثباته لجدارته بالبقاء"[2]، فالأخلاق وان كانت في تطور مستمر، إلا أن الإيمان أو المعتقد من خلال الدين والذي عادة ما يؤكد على تلك الأخلاق الثابتة التي لا يمكن أن تتغير بتغير المكان والزمان، وحتى في ظل التطور التكنولوجي المتسارع، إلا أن هذه الأخيرة أي الأخلاق أصبحت محل شك كقيم ثابتة إذ أن التطور التكنولوجي خاصة من خلال وسائل الإعلام والاتصال أدى حسب الكثير

[1]- روجر روزنبلات، **ثقافة الاستهلاك: الاستهلاك والحضارة، والسعي وراء السعادة**، تر: ليلى عبد الرازق، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011)، ص9.

[2]- فؤاد زكريا، **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة**،(الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004)، ص98.

من الباحثين أمثال كازانوف (Cazaneuv) ولبوتفسكي (S. Lipotveski) إلى "هدم الإنسان واستلابه من خلال منع تكون هوية متماسكة للإنسان المعاصر تجعله على مسافة وهمية من مشكلاته وتدفع به نحو التراجع العقلي إلى موقع الإحساس باللامسؤلية"[1]، فالتطور التكنولوجي ألغي كل الحدود الجغرافية وحتى الأخلاقية، أين لا رقابة ولا قانون يمكنه أن يضبط سلوك الفرد في المجتمع، وهو ما يؤدي تدريجيا إلى إلغاء ارتباط الفرد بكل الأنساق الفكرية والقيمية والأخلاقية، وحتى روابط الانتماء المكاني والوطني من هوية ومعتقدات وأعراف، والأمر لا يتعلق فقط بوسائل الإعلام التقليدية التي أهملت الجانب التربوي وانحصر تركيزها على الجوانب الأكثر إثارة وجلبا للمشاهدين كالتلفاز والراديو، حتى بالنسبة للأطفال أين لم تعد تراعي شركات الإنتاج الإعلامي العالمية وحتى المحلية في الدول العربية مثلا الجانب التربوي والأخلاقي حتى في أفلام الكارتون والتي أصبحت تأخذ خاصة الطابع العنيف في إطار تصويرها للصراع بين الخير والشر، إذ تقدم تلك الصورة بطريقة عنيفة جدا مليئة بالإثارة دون مراعاة لتأثيرها على تكوين وسلوك الأطفال الذين سيألفون العنف والتوحش، لنستيقظ ربما ذات يوم ونتساءل ما الذي جعل العالم أكثر عنفا في الوقت الذي ساهمنا نحن في إيجاده وبناءه على تلك الصورة دون وعي أو إدراك لمخاطر ذلك، وهو ما يميز للأسف الإعلام الحديث فـ"الفضيلة الأخلاقية خلافا للفضيلة العقلية أو الفكرية فهي تنبع بمجملها من العادة أو الطبع...لذا لا يعد ما تعلمناه منذ الصغر من هذه المجموعة من العادات الأخلاقية أو تلك أمرا عاديا بل على العكس يعتبر أمرا مهما بل بالغ الأهمية"[2]، في تحديد سلوكاتنا مستقبلا، فإذا كان العنف الذي نعود عليه أبناءنا (أو أجيال كاملة) صوتا وصورة في إطار الصراع بين الخير والشر لا يمكننا إلغاءه بسهولة ذات يوم.

2- **الفقر العاطفي**: الذي يعتبر نتاج للثقافة التي يتم صنعها والترويج لها من خلال تشتت الأشياء والقيم، خاصة من خلال الانحلال الذي مس النواة الأساسية لتكوين الفرد العائلة، فالانحلال العائلي عادة ما يؤدي "إلى اضطرابات مرضية تصيب الهوية وهي نتيجة ضعف العلاقات العاطفية والتي ينتج عنها عدم الاستقرار العاطفي، كما يعود هذا الأخير إلى وجود تربية تنعدم فيها نماذج معينة تساعد الطفل على التكون مما يؤدي إلى اضطرابات في كينونة الهوية الفردية...ولعل الخطورة تكمن حينما يتحول الانحلال العائلي إلى ظاهرة اجتماعية عامة لأسباب اقتصادية وثقافية، مما يجعل أزمة الهوية تصبح ذات طابع اجتماعي تتسم بالعموم، وتظهر في شكل معاناة ذاتية وجودية تنبع عنها ممارسات عنيفة كالاحتجاجات والإرهاب"[3]، حيث أصبح المزاج العام والسائد هو مزيج من المراهقة والهمجية التي تفشت كالوباء في كل أرجاء العالم، والسبب أزمة العائلة نتيجة

---

[1]- ألكس ميكشيللي، **الهوية**، تر: علي وطفة، (دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعية، 1993)، ص 143.

[2]- فرنسيس فوكوياما، **الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي**، تر: معين الايمام ومجاب الامام، (قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015)، ص76

[3]- الكس ميكشيللي، مرجع سابق، ص ص 138-139.

تغير المعايير العامة التي تحكم السلوك الجنسي والمشاركة والإنجاب من خلال ارتفاع معدلات الطلاق والجريمة والعنف وزيادة الأنانية واللامبالاة واللامسؤولية، فالقوانين المتسامحة قد يسرت ارتكاب الأعمال الممنوعة وساعدت التغطية الإعلانية لهذه القضايا في زيادة حدتها وانتشارها خاصة في وسط الشباب العربي، حيث "أصبح مجرد عدم السير مع الموضة التي (هي في الأصل) تفرض على المجتمع والتي (مع الأسف) يظن أنه هو الذي فرضها أصبح جهلا"[1]، مما أنتج فقرا عاطفي، والمشكلة لا تكمن فقط في صناعة الثقافة من خلال الثقافة الدخيلة، بل في طبيعتها وفي كيفية ترسيخها وسهولة الوصول إليها من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتواصل "فبالإضافة إلى كونها تخدع الناس بل (الأدهى والأمر) أنها تعرض هذا الخداع على أنه ضرب من التنوير"[2]، طبعا ليس هذا هو السبب الوحيد (أي وسائل الإعلام والاتصال)، ولكنه يتقاطع ويتوطد مع الأسباب الأخرى التي ترتبط بمختلف المؤسسات التقليدية التي تخلت نوعا ما عن دورها خاصة أنه كان لها دور في الحفاظ على الفرد ضمن ما يمكن أن نطلق عليه بالعاطفة السوية، سواء تعلق الأمر بالأسرة أو المدرسة أو حتى المؤسسة الدينية، والسبب هو تلاشي الروابط التقليدية التي تعتبر هي أساس المجتمع الحقيقي إلى الروابط الافتراضية التي تضمنها شبكات التواصل الاجتماعي، و"هذا ما سيجعل أمم عظيمة تبدد كل رصيدها من الشرف وكل ما احتواه ضميرها ووجدانها من آداب السلوك المتحضر...والإشكال يتمثل هنا في عدم إمكانية تحديد مدى نمو وانتشار هذه البلطجية الثقافية ومدى ترهل القيم الأخلاقية...وأخيرا هذا التضخم التقني الذي لا شك في انه المسؤول عن ذلك إلى حد كبير"[3]، فكل شيء يتجه نحو التجريد بما في ذلك العواطف والأحاسيس والمشاعر اتجاه أقرب الناس إلينا (العائلة).

3- **ثقافة الإسراف والاستهلاك**: يمكن توضيح ذلك ببساطة من خلال انقلاب المقولة المشهورة لديكارت والتي كانت تنطبق على إنسان ذلك العصر هي "أنا أفكر...فأنا موجود"، أما اليوم فما ينطبق على هذا الإنسان هو "أنا أستهلك ...فأنا موجود، والمؤكد أن الفرد سينال الاهتمام الذي يحسب أنه يريده من المجتمع ومن المصنع ومن التجار على قدر استهلاكه، فكلما زاد استهلاكك أثبت وجودك أكثر فأكثر ...فالاستهلاك هو الضامن لشعوك بالبقاء...فالاستهلاك يساوي الحرية ويأتي بالسعادة"[4]، وهو ما يعني أن السلعة هي ذات أهمية بغض النظر عن درجة منفعتها نتيجة الرغبة المتزايدة للحصول على الحاجات بشكل متزايد، وهو ما أطلق عليه علماء الاجتماع بـ "الفتشية السلعية" ضمن ما تعنيه من استبدال المنفعة التي تقدمها السلعة بمجرد امتلاك السلعة

---

[1]- محمد علي فرح، مرجع سابق، ص120.

[2]- نفس المرجع، ص121.

[3]- يوهان كوستينغا، **ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية**، تر: صديق محمد جوهر، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2012)، ص ص548-549.

[4]- محمد علي فرح، مرجع سابق، ص ص122-123.

ذاتها، وهو ما يعني تحكم السلعة في الإنسان بدل العكس، وتصبح السلعة ذات قيمة محورية في حياة الإنسان تتجاوز قيمتها الاقتصادية وغرضها الاستعمالي ...إلى كونها غاية في حد ذاتها ...(بل أكثر من ذلك فكل شيء غير مادي قد تم تحويله إلى شيء مادي) كالفكر والفن وحتى الإنسان باعتباره مجرد رقم أو سلعة وهو ما يعني نزع الإنسانية منه"[1]، وهذا كله نتاج "لتغلغل الشكل السلعي الذي يعيد تشكيل أبعاد الحياة الاجتماعية المستثناة حتى ذلك الحين من منطقه إلى حد تصبح معه الذاتية نفسها سلعة تشترى وتباع في السوق بوصفها جمالا أو نظافة أو إخلاصا أو استقلالا ذاتيا"[2] وغيرها من المصطلحات الأخلاقية التي لا تحمل في جوهرها من الأخلاق والفضيلة شيئا، وبين هذا وذاك فإن قرار الفرد هو الذي يمكن أن يودي إلى ممارسة متوازنة ايجابية للنزعة الاستهلاكية من خلال الاتزان بين القوى المتضاربة وأن لا يعمل بشكل إلزامي أو بإدمان حتى يمكن أن تعبر خيارات الفرد أو استخدامه للأشياء عن ذاته العميقة أو عن باطنه"[3]، فإدارة الذات على نحو متوازن بين الماديات والمعنويات هو ما يجب أن يكون عليه الفرد والمجتمع بشكل عام.

وفي ظل هذا الإفلاس الأخلاقي والفقر العاطفي وثقافة الاستهلاك والتفاهة تتزايد مطالب الفرد في المجتمع العربي بتمرده على التقاليد نتيجة تأثره بما وصل إليه الغرب من تحرر (المجتمع الاستهلاكي) من جهة، ونتيجة أزمة الهوية الشاملة مما يدفعه إلى البحث عن تعويض ذلك بإزالة كل ما يعترض حريته الفردية دون أي وعي أو إدراك لما سينجر عن ذلك، وبغض النظر عن الأضرار التي قد تنعكس على المجتمع ككل من خلال تعميمها، فوجود ممارسات أو سلوكات أصبح مسموح بها اليوم في المجتمع العربي ليس لتحولها من ممارسة لا أخلاقية إلى أخلاقية بل لاتساع ممارستها، ومن المؤسف القول اليوم أن الكثير من المفاهيم قد أفرغت من مضامينها نتيجة الممارسات التي لم تعد تعكس فحواها ومن بينها "مفاهيم التقدم والإنسانية والعقلانية التي أفرغت من مضامينها وذلك لأنها أصبحت أدوات إيديولوجية للهيمنة الغربية على العالم"[4]، وضمن كل هذا تلعب وسائل الإعلام والاتصال الحديثة دورا بارزا فيما يعرف بالاستعمار عبر التواصل، خاصة أن الفئة الأكثر تواصلا هي فئة الشباب حيث أشار التقرير الذي أعد من طرف كلية دبي للإدارة الحكومية سنة 2011 أن "مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة تصل إلى 70% خاصة الفيسبوك هم الفئة العمرية بين 15 و29 سنة"[5]، وهو ما يجعل هذا الجيل الناشئ رهن ما يتلقاه من الشبكة العنكبوتية،

---

[1]- نفس المرجع، ص ص127-129.

[2]- زيغمونت باوملن، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، تر: سعد البازعي وبثينة الابراهيم، (أبو ظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، 2016)، ص86.

[3]- روجر روزنبلات، مرجع سابق، ص22.

[4]- الكس ميكشيللي، مرجع سابق، ص144.

[5] -Arabe Social Media Report, vol1,n2, Dbai, 2011,p12.in:

http://unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/dsg/unpan050860.pdf

خاصة في ظل "العلاقة الجد معقدة والتي تربط الشباب العربي بالسمعي البصري وتكنولوجيا الإعلام، بالإضافة إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتأثيرها على تطور هذه الدول[1]، التي قد يصبح مصيرها رهن شباب لا يفقه من جوهر الحياة سوى مظهرها.

ثانيا: دور وسائل الاتصال الحديثة في تسهيل انتشار القيم الهجينة (الدخيلة) في المجتمعات العربية.

من المؤسف القول أن وسائل الاتصال الحديثة تتمتع بكونها في ذات الوقت وسائل اقتصادية ربحية لا حدود لها، وفي ذات الوقت وسائل سياسية واجتماعية وثقافية، كما أن مثقفي الإعلام ألئك الذين "يطفون حول مآسي العالم ويعتبرون أنفسهم أنهم يقومون بأعمال مقاومة"[2]، طبعا ليس كل الإعلاميين، لأن هناك من يخاطر بحياته لنقل الحقائق، إلا أن هناك من يفعل العكس، فالتغطية الإعلامية الفعالة من خلال الصور قد تجعل الضحية مجرما، كما قد تغطي حدثا بارزا ككارثة طبيعية فتصورها مأساة في هذا البلد وفضيحة في بلد آخر، بحيث تحضى الأولى بالتعاطف والتضامن ويجعل من الثانية خطئ من الدولة أو حتى غضب من الطبيعة والذي لا مفر منه، ويظهر كل ذلك التأثير الذي عادة ما يتأرجح بين الحقيقة الواقعية أو الحقيقة التي يتم ترسيخها من خلال التأثير الكبير لتكنولوجيا الإعلام والاتصال والتواصل والتي تظهر فيما يلي:

- إن وسائل الاتصال الحديثة تقدم خدمة عامة للجميع دون استثناء ودون قيود جغرافية أو زمنية أو قيمية، فمثلما تنشر الحقائق والفضيلة تقدم بذات الكم أو أكثر من ذلك الإشاعة والرذيلة.

- إن وسائل الاتصال الحديثة ذات طبيعة سياسية قد تحمل توجها معينا سزاء كانت هيئات خاصة أو عاما مثلا المؤسسات الإعلامية الممولة من طرف الحكومات والتي تتواجد خاصة في دول العالم الثالث والدول العربية بشكل خاص.

- إن وسائل الاتصال الحديثة هي وسائل ربحية بغض النظر عما تقدمه ومدى تأثيره في قيم المجتمع ففي كثير من الأحيان تقوم هذه الوسائل بتقديم الكثير من المواد التي تهدد قيم المجتمع خاصة فئة الأطفال فهي وسائل ربحية بالدرجة الأولى وهدفها ليس خدمة الجمهور بقدر ما يرتبط بتحقيق الأرباح، وضمن هذا الإطار يقول ملتون فردمان Milton Friedman" إن المسؤولية الاجتماعية الوحيدة لأي مشروع هي زيادة أرباحه"[3].

---

[1]-Marwan M.Kraidy,**Youth Media and Culture in the Arab World**, pennsylvania: Penn Libraries, 2008, p348.

[2]- بيار كونيسا، **صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح**، تر: نبيل عجان، بيروت: (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015) ص209.

[3]- جان كلود برترند، **أديبات الإعلام (ديونتولوجيا الإعلام)**، تر: رباب العايب، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008)، ص36.

- إن وسائل الاتصال الحديثة صانعة لتوجه معين أو حتى قيم معينة، ويتم الاعتماد في هذه النقطة على درجة الإقناع والإثارة والتغطية الإعلامية الواسعة الانتشار بغض النظر عن الحقائق.

- إن وسائل الاتصال الحديثة توفر سرعة الاتصال مع قلة التكلفة خاصة الانترنت، بالإضافة إلى سهولة الاستخدام وتعدد اللغات[1] وتوفر وتحديث المعلومات، فهي تعرض كل شيء بتكرار وتنوع وبشكل دائم، وهذه المميزات كلها تزيد من درجة تأثيرها في المجتمع، بحيث تساهم في تشكل إدراك الفرد لواقعه.

- إن وسائل الاتصال الحديثة تتميز بالتحرر من كل القيود من السلطة إلى الأخلاق إلى القيم والمعتقدات الدينية، فهي تحمل رسائل سريعة جدا ضمن محيط مفتوح وضمن هذا الإطار منها ما هي رسائل مغلوطة أو صحيحة سواء تحمل قيم أو رذائل وسواء كان يراد بها الخير أو الشر ...إلخ. فأيا كان شكل وسيلة الاتصال أو المعلومة فإن الدافع الحقيقي مرتبط بعنصرين أساسيين وهما: الممول من جهة والفرد بما يتصوره من جهة ثانية، وكلاهما يحتمل الصواب والخطأ في مدى تطابق ما يقدمه مع الواقع.

إن وسائل الاتصال الحديثة أصبح لها دور كبير جدا من خلال وجودها كجبهة تصنع أو تعطي صورة عن الواقع، إلا أن الإشكال هو في مدى توافقها مع معتقداتنا وقيمنا، "فلا يستبعد أن تحدد وسائل الإعلام النظام اليومي للمجتمع، فهي لا تستطيع أن تملي على الناس موضوعا يفكرون به، ولكنها تقرر ما يجب عليهم أن يفكروا به وما لا يجب أن يفكروا به"[2]، فالمنتجات الإعلامية التي تنتجها خاصة الدول الكبرى هي الأكثر رواجا وتأتي في مقدمتها الولايات المتحدة، إذ تشير الدراسات إلى أن هذه الأخيرة "لا تسمح إلا إلى 2% من البرامج المستوردة"[3]، وهو ما لا نجده في الكثير من الدول العربية التي تبث وسائل إعلامها على الأقل 50% من البرامج المستوردة، في ظل قلة الإنتاج المحلي خاصة برامج الأطفال والأفلام والمسلسلات...إلخ، نهيك عن تراجع دور كل المؤسسات بدأ بالنواة الأساسية للمجتمع الأسرة إلى جانب المدرسة وحتى المجتمع ككل، لذا "فمن قبيل الظلم والعجز عن فهم الأمور أن يعيب الجيل الأقدم على الجيل الأحدث أمورا لا يمكن أن يكون الجيل الأحدث قد اختارها بنفسه، بل لا بد أنه تلقاها على هذا النحو ممن في يده مقاليد أموره"[4]، لهذا فإهمال التنشئة الجيدة للطفل نتيجة تخلي المؤسسات التقليدية عن دورها هي التي تساهم في دفع الطفل أو حتى المراهق أو الشباب إلى البحث عن بديل، وعادة هذا البديل هو السيئ كاستخدام وسائل الاتصال والتواصل بطريقة سيئة باعتبارها الأكثر إتاحة وسهولة بالنسبة له، والتي لا حدود أمام استخدامها، والدليل

---

[1]- إبراهيم إسماعيل، **الإعلام المعاصر وسائله مهاراته تأثيراته أخلاقياته**، (قطر: وزارة الفنون والثقافة والفنون والتراث، 2014)، ص227.

[2]- جان كلود برتراند، مرجع سابق، ص 39

[3]- نفس المرجع، ص103.

[4]- فؤاد زكريا، مرجع سابق، ص 72.

الزيادة الكبيرة في استخدام الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي باعتبارها من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها.

والنتيجة النهائية لكل هذا هي أن صورة المجتمع كما نعرفه سوف تتلاشى كليا "بانتهاء الجيل الذي شهد المجتمع الحقيقي الذي كانت المعرفة أهم سيماته والفكر قوامه والعلاقات الحقيقية هي التي كانت تربط أفراده، سواء على مستوى العائلات أو الصداقة ...وغيرها من الروابط الاجتماعية الحقيقية...إلا أنه للأسف المجتمع اليوم هو مجتمع افتراضي لا روابط بين أفراده سوى تلك التي أنشأتها الشبكات الاجتماعية الافتراضية،...هذا المجتمع الافتراضي الذي فقدت فيه كل المشاعر التي كانت تنتجها الروابط المنبثقة عن المفاهيم الراقية التي لا يعرفها أبناء هذا المجتمع الافتراضي، كالأبوة والأمومة والأخوة والصداقة[1]، لذا فكل وسائل الإعلام سواء التقليدية أو الحديثة تشترك في جعلك أنت أيها الفرد مستهلك أو زبون تروج لسلعها بعيدا عن القيم والأخلاق التي لا طالما أثبتت الكثير من الدراسات أنها أساس تقدم وتطور المجتمعات، خاصة الدول التي تعرف تقدما ملحوظا والتي كانت تصنف كدول من العالم الثالث كدول جنوب شرق آسيا إلى جانب الدول المتطورة التي حافظت على مكانتها كالصين واليابان وكوريا الجنوبية.

ثالثا: أهمية القيم الأصيلة كإطار مرجعي لاستقرار وبقاء المجتمعات العربية، ومستقبل هذه الأخيرة:

يتفق الجميع على وجود مجموعة من القيم المشتركة كالحق في الحياة والعدالة والمساواة كقيم عالمية إلى جانب قيم أخرى ترتبط بخصوصية كل ثقافة، فالثقافات تختلف في النظر إلى هذه القيم لان لكل ثقافة خصوصياتها، وتعتبر القيم بهذا المعنى "القوة الدافعة وراء مجمل الحركة الاجتماعية، وتنصرف عبرها ومن أجلها طاقة المجتمع في أعمق المستويات، إذ أنها معالم التطلعات الجمعية تحت الشعورية، وصورة المجتمع عن ذاته وفهمه لنفسه ولنهجه في الحياة"[2]، وهو ما يجعلها المحرك الأساسي للمجتمع نحو الأمام، فلا نظرية التبعية ولا الحداثة أصبحتا قادرتين على تفسير أسباب تقدم أو تخلف المجتمعات، لذا فإن كل الدراسات الحالية تتجه نحو التأكيد على "دور القيم والاتجاهات الثقافية كعوامل من شأنها أن تسير أو تعيق التقدم...وهذه الرؤية هي امتداد لما خلص إليه "ألكسيس دي توكفيل" من خلال أن النظام السياسي الأمريكي قد نجح نتيجة توفر ثقافة ملائمة مع الديمقراطية"[3]، وهو ما يجعلنا نتساءل هل تملك الدول العربية ثقافة تتلاءم مع ما تستورده من أنظمة سياسية وحتى اقتصادية؟ لما لم تستطع هذه الدول أن تنتج أنظمة تتوافق وثقافتها في الوقت الذي استطاعت

---

[1]- محمد علي فرح، مرجع سابق، ص ص 239-240.

[2]- لورانس إ. هاريزون و صموائيل .ب. هنغتنتون، **الثقافات وقيم التقدم**، تر: شوقي جلال، ط2، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، ص15.

[3]- نفس المرجع، ص32.

دول إسلامية أخرى القيام بذلك كماليزيا؟ وهو ما يجعل الإشكال المتعلق بتخلف الدول العربية ليس في تغيير الثقافة الإسلامية وما تحمله من قيم، بقدر ما يرتبط بتكيف الأنظمة التي يتم استيرادها مع القيم التي تسود المجتمع، أو إيجاد أنظمة أصيلة تتوافق مع قيمنا "فلكي يبقى التقليد حيا يحتاج لمن يحميه وينقيه ويعصرنه وينظمه ويبرزه محليا أو وطنيا، وإلا سيبقى فضفاضا ومبهما في كثير من الأحيان أو حتى موضع شك كبير"[1] وبلا جدوى، فالتجارب تثبت أهمية الأخلاق والقيم كمعطى عام يحتويها أهمية الثقافة في بناء رأس المال البشري الذي يمكن الاعتماد علية، وليس ببعيد المعجزة اليابانية وحتى الألمانية التي يتفق الجميع على أن سبب هذه المعجزة هو "أن الأداء الياباني بني على ظاهرة رأس المال البشري الذي حددته وصاغته الثقافة اليابانية"[2] وهو ما لا تنتبه له الأنظمة وحتى الشعوب العربية التي أرهقها الإحباط ومشاغل الحياة الصعبة التي تعاني منها الأغلبية الساحقة.

لا بد من الإشارة إلى أن مسألة التخلي عن الثقافات الأصيلة لحساب الثقافات الهجينة هي ظاهرة عامة لا تمس فقط المجتمعات العربية، ولعل الخطر الأساسي الذي يتهدد البشرية هو أن "الإطار الحضاري الآخذ في التطور لا يتألف من حداثة نقية بالمفهوم المعياري، فبدلا من امتلاك العلم والاقتصاد والديمقراطية في صياغة نقية، نجدها قد امتزجت بصفات مصالح منطقة لغوية وثقافية ما، أو حتى قد اختلطت بمصالح الاقتصاد القومي أو بمصالح مشروعات محددة"[3]، وهو ما يجعل من انتشار الثقافة الغربية كمرجعية للتقدم والتحضر لدى الكثير من الشعوب العربية مرتبطة بمشاريع للهيمنة والاستلاب الحضاري، لأن "الذهنية التي تتشكل لدى الأفراد هي التي تحدد خياراتهم، وبالتالي تشكل الدعامة الأساسية لخلق التغيير"[4]، فهل هذا يعني ضرورة تغيير الثقافة بما تحمله من قيم وفقا لمتطلبات العصر هذا الأخير الذي يرى زغمونت باومان Zygmunt Baumanفي كتابه بعنوان: **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة** أن "مجتمع الحداثة السائلة للمستهلكين أدى إلى تدمير واضح لنظام الضبط المعياري...نتيجة الفائض في الإمكانيات بدلا من الزيادة في الموانع، كما كان الحال في الماضي[5]، أي وجود ضوابط للمجتمع في جميع جوانبه، أما اليوم فتلك الضوابط لم تتطور بنفس الكم الذي تطورت به احتياجات الفرد المتزايدة، بل تزداد مطالب الفرد لإلغاء ما تبقى من حدود وقيود وضوابط.

---

[1]- جان كلود برتراند، مرجع سابق، ص52.

[2]- لورانس إ. هاريزون و صموائيل هنغتنتون، مرجع سابق، ص66.

[3]- أوتفريد هوفة، **الأخلاق السياسة في عصر العولمة**، تر: عبد الحميد مرزوق، (القاهرة: المركو القومي للترجمة، 2010) ص257.

[4]- لورانس إ. هاريزون و صموائيل .ب. هنغتنتون، مرجع سابق، ص486.

[5]- زيغمونت باومان، مرجع سابق، ص ص76-77.

"إن الحرية والمسؤولية توأمان...من خلال ضرورة وجود حدود لحرية كل إنسان وفرض التزامات على كل فرد، واشتقاق هذه القواعد من مجموعة المبادئ الأخلاقية التي يتبناها أي مخلوق بشري...وان كانت هناك إنسانية يتفق عليها الجميع، هي الحفاظ على الجنس البشري أي مصير كوكب الأرض، فلا بد لهذا الاهتمام أن يحركهم جميعا مهما كانت إيديولوجيتهم ودرجة إيمانهم الديني، فهم مهددون كما لم يهددوا من قبل فقد اكتشفوا العدو انه أنفسهم بالذات[1]، والسبب هو غياب المسؤولية الذاتية من خلال الانحطاط الذي نتوجه نحوه طرق التواصل سواء تلك التقليدية أو حتى الحديثة من خلال الفساد الذي طال حتى وسائل الاتصال كالترويج لكل ما هو سيئ، فلا بد لوسائل الإعلام ولكل فرد متفاعل ضمن مواقع التواصل الاجتماعي أن يهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والعلمية من خلال جعل الآخرين أكثر علما وأكثر حضارة وان ترفع من سويته المعنوية ومن عقلانيته وان تحافظ على ثقافة الماضي وتساهم بتفتيح أشكال ثقافية جديدة"[2]، وأن يدفع هذا الانفتاح نحو الأفضل للمجتمع البشري ككل، ولعل الإشكال الأساسي اليوم في المجتمع العربي انه لم تعد هناك معايير أو مقاييس واضحة تبين حدود سلوك الفرد التي يمكن اعتبارها مقبولة ضمن تلك الأطر أو مرفوضة، فقد اختلطت الأمور ببعضها البعض بين دعاة الحرية والتحرر ودعاة التطرف والتعصب، وضاع المعتدلون بين هذا وذاك إلى جانب الفوضى التي أحدثتها ما عرف بالربيع العربي أين تحول في بعض الدول من ربيع إلى خريف أو أسوء من ذلك إلى نكبة دفعت الشعوب ثمنها ولا تزال تدفع إلى يومنا هذا كسوريا وليبيا، وهو ما يؤكد "أن التهديد الذي يواجه الإنسان لا يأتي في المقام الأول من آلات وأجهزة التقنية ذات الإمكانيات المميتة، إن التهديد الفعلي ظل دوما هو ما يبتلي الإنسان في جوهره"[3]، أي قيمه وأخلاقه، وعليه لا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة لتوجيه القيم باتجاه خدمة أهداف التقدم والتحضر من خلال "تحديد القيم التي تؤثر إيجابا وسلبا سواء في تعزيز التقدم أو في إعاقته"[4] من جهة، وكذا ضرورة معرفة طبيعة التغير الذي يمس القيم وما هي العوامل الأكثر تأثيرا في تغيير تلك القيم، وكيف يمكن للحكومات وحتى الباحثين والنخب التقليل من التأثير السلبي لتلك العوامل والتي يأتي على رأسها وسائل الإعلام والاتصال وتعميم تكنولوجيا التواصل الاجتماعي وهل تدفع بالاتجاه الايجابي أو السلبي؟ ما هو الطريق الذي يجب على الدول العربية أن تسلكه؟

من المؤسف القول أن دول العالم الثالث بشكل عام والدول العربية بشكل خاص تأخذ كل ما هو مستورد من أنظمتها السياسية وحتى الاقتصادية واليوم حتى الاجتماعية والتعليمية والثقافية، فعند القيام

---

[1]- جان كلود برتزند، مرجع سابق، ص40.

[2]- جان كلود برتزند، مرجع سابق، ص92.

[3]- فرنسيس فوكوياما، **مستقبلنا بعد البشري**، تر ايهاب عبد الرحيم محمد، (أبوظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006)، ص13

[4]- لورانس إ. هاريزون وصموائيل هنغتنتون، مرجع سابق، ص48.

بمقارنة بسيطة بين ما وصل إليه اليابان من تقدم تكنولوجي وتقني وما وصل إليه العملاق النائم الصين إلى جانب النمور الآسياوية من تطور في الكثير من المجالات نجد انه ما هو إلا نتاج للقيم التي ترتكز عليها هذه الشعوب والأمم في تطلعها نحو الأفضل مع حفاظها على أصالة نموذجها القيمي بكل ما يحمله من عادات وتقاليد(القيم الكنفوشيوسية التي تؤكد على حب العمل والانجاز والتعليم والكفاءة والادخار والمستقبل) وهذا ما يترجم " الحقيقة القديمة التي تقول أن هناك تأثير لما هو معنوي فيما هو مادي وهو ما يعرف حديثا برأس المال الثقافي Cultural Capital"[1]، فتمسك الشعوب بقيمها لا يعني أنها مقاومة للتطوير أو رافضة للتغير، ولكن أخذ ما يتناسب وخصوصية ثقافتها وقيمها كمحرك نحو التطوير نتيجة وجود توافق بين الثقافة والقيم والمبادئ التي يؤمن بها الفرد والواقع الذي يعيشه هو الذي يدفعها نحو التقدم، بحيث كلما اتجه الفرد إلى الغلو في القيم لدرجة التعصب كلما ازداد انغلاقا وتحجرا ورفضا لكل تغيير بغض النظر عن ايجابيته، والعكس كلما ازداد تخلي الفرد عن القيم الأخلاقية التي لا بد له من الارتكاز عليها متجها نحو البحث عن التحرر والغلو في البحث عن التطوير بمفهومه كمظهر وازدادت مطالب الحرية والتحرر من كل القيود اقتداء بالأخر، كلما تفشت أشكال ومظاهر العبث والرذيلة والتفاهة، وفي كلا الحالتين سيكون الفرد بعيدا كل البعد عن الواقع الحقيقي الذي يعيشه ولا مجال للتطور والتقدم، كذلك الذي يتطلع من قاع البئر فلا يرى إلا جزءا ضئيلا من السماء فالأول يرى بعدم ضرورة التطلع لأن انغلاقه ضمن حدود المبادئ التي رسخها لا تسمح له بالتطلع، والثاني يرى في ذلك الجزء كل شيء دون أن يدرك أن ما تظهر عليه السماء ما هو إلا واجهة قد لا تشكل من حقيقة الوضع شيء، وضمن هذا الإطار يدور في الدوائر الأكاديمية الأمريكية البحث في إطار فكري يتمثل في نظرية لاستبطان الواقع أو النظر إلى باطن الواقع والتي ترتكز على القيم والمواقف الثقافية وتأتي هذه النظرية لتملأ الآن بالتدريج الفراغ التفسيري المتخلف عن انهيار نظرية الاعتمادية Dependency Theory"[2]، ومن خلال ذلك تم التوصل إلى أن كل من "الثقافة والتقدم تشتملان على تداخل معقد بين السبب والنتيجة ولكن الثقافة لها قوة فاعلة يمكن إثباتها...وببساطة يمكن أن نلحظها من خلال الانجاز الاقتصادي للأقليات العرقية في الكثير من الدول كالصينيين في كل من تايلاند وأندونسيا والفلبين"[3]، وهذا ما يجعل تلك المقولة التي لطالما روج لها السياسيون ووسائل الإعلام الغربي خاصة مع بداية القرن21 من خلال أن ما يصلح لنا يصلح لكل العالم مجرد خطاب عاطفي لفوقية لا حدود لها ولا مجال لتطبيقها على أرض الواقع خاصة الواقع العربي.

---

[1]- مركز الدراسات والترجمة، **أدمغة من ذهب الفرق السرية التي تحرك الشركات العالمية**،[د.م.ن]، [د.د.ن]، [د.س.ن]، ص26

[2]- لورانس إ. هاريزون و صموائيل .ب. هنغتنتون، مرجع سابق، ص489.

[3]- نفس المرجع، ص495.

ويمكن أن نحصر بصفة عامة طبيعة الثقافة التي ستطبع البلدان العربية مستقبلا إذا لم يتم اتخاذ إجراءات الرقابة وضرورة التوعية والانفتاح الايجابي، بأخذ كل ما يتفق مع خصوصيات وقيم المجتمع ورفض كل ما يشكل اغتراب الإنسان عن إنسانيته وخصوصية ثقافته والتي تبدو من خلال الجوانب التالية:"

- فقدان الإنسان العلاقة مع المشاعر الإنسانية الدفينة والعميقة واحتياجاته الإنسانية لدرجة يمكن أن يصل إلى إلغاء دور العائلة البيولوجية، حيث "تختفي وتنكر معطيات الحياة العصرية الوالدين والأجداد والعائلة والعرق والدين..."[1].

- إحساس الفرد بالعجز وشعوره بأنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به.

- الإحساس بالعزلة وانفصال الفرد عن تيار الثقافة السائد، وهو ما يتوافق مع ما قاله ذات يوم بنيامين باربر Benjamin Barber إنك إذا تجاوزت المحلي فإنك ستصل إلى لا مكان"[2].

- الإحساس باللامعيارية وغياب المعنى"[3] لدرجة غياب أي ارتباط بركائز قيمية فحتى القيم التي رسخها الدين منذ قرون لم يعد إنسان اليوم يأخذها بمحمل الجد، وهنا يصدق ذلك التعبير الذي أطلقه عالم الأخلاقيات الحيوية "ليون كاس Leon Kass" على عكس الإنسان الذي يقهر المرض أو العبودية، البشر الذين يتم تجريدهم من صفاتهم البشرية...هم ليسوا مدركين لتجردهم من صفاتهم البشرية بل إنهم وهو الأسوأ لم يكونوا ليكترثوا لو علموا بذلك، والواقع أنهم عبيد يشعرون بسعادة الرقيقّ"[4].

- إن مستقبل الدول العربية اليوم وفي ظل ازدراء القيم الذي تروج له وسائل الاتصال الحديثة من جهة والذي يجد بيئة حاضنة له نتيجة توفر ثلاث عوامل أساسية:

أولا: يرتبط العامل الأول بطبيعة الأنظمة العربية التي تتخبط ضمن مؤسسات وقوانين غير ناضجة إلى جانب كونها مكونة "من نخب تابعين من الباحثين والإعلاميين والمثقفين يعملون بوعي أو بدونه كآلات لمفاهيم وقيم حضارية تغاير النمط الحضاري العربي، وتعمل في اتجاه بوصلة العقل الغربي وتحقيق أهدافه، وهذا ما يعني أن الاستعمار ما زال موجودا داخل العقول"[5]، وهو ما لا يتوافق مع متطلبات المجتمع ولا متطلبات التقدم، ولا

---

[1]- برونس روبنز، **الإحساس بالعولمة التعاون الدولي في مأزق**، تر: عاطف عبد الحميد، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص 179.

[2]- نفس المرجع، ص 179.

[3]- محمد علي فرح، مرجع سابق، ص ص 137-138.

[4]- فرنسيس فوكوياما، **مستقبلنا بعد البشري**، مرجع سابق، ص16.

[5]- المهدي المنجرة، **عولمة العولمة**، ط2، (الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2011)، ص102.

حتى متطلبات البيئة الثقافية التي هي في طريقها إلى الانحلال التام، خاصة في ظل ما يعرف اليوم بالاستعمار عبر التواصل.

ثانيا: يرتبط العامل الثاني بثورات الربيع العربي وتأثيرها على طرفي المعادلة من حكام بما يمثلونه من مؤسسات ونظام، والمحكومين من خلال درجة تأثرهم بما يحدث وحدث في هذه الدول في ظل حالة الإحباط التام، "فالجامعة العربية منحطة والتنسيق العربي مجمد وصيغ مجالس التعاون لم تحقق نتائج واضحة والنزاعات الحدودية تستغرق النخب الحاكمة، كما أن نماذج التنمية السائدة تسير على النمط الغربي وهي أقرب إلى التبعية"[1]، نهيك عن الإرهاب والتفكك الذي حل بكل من العراق وسوريا وليبيا التي تتخبط في العنف، إلى جانب الأزمات التي تتفجر بين الحين والأخر بين الدول العربية، أما الجيل الحالي فيعاني الضياع بين هويتين غير مكتملتين، إلا نسبة قليلة منه التي تدرك واقع ما يحدث.

ثالثا: يرتبط العامل الثالث بالشعوب العربية التي وجدت نفسها في استجابة سلبية اتجاه كل ما تتلقاه من البيئتين الداخلية والخارجية، خاصة في ظل ما أتاحته وسائل الاتصال والتواصل من إمكانية الاطلاع على كل ما هو أفضل وأسوء في ذات الوقت، وعدم إمكانية الوثوق في البديل الأفضل كخيار أول للشباب العربي، خاصة نتيجة الانقلاب القيمي من جهة، وزوال كل الحدود والأطر الأخلاقية التي لا طالما كانت الحد الفاصل بين ما هو جيد وسيئ.

وهنا لا يسعني سوى أن أتمنى أن تصل الشعوب وحتى الحكومات العربية إلى إدراك أنها تسير في الاتجاه الخطأ، وهنا أرى أن ما يجب القيام به هو ما قدمه "برنارد لويس" من خلال ضرورة طرح أحد السؤالين:"

- الأول: ما الخطأ الذي ارتكبناه؟

- الثاني: من فعل هذا بنا ؟

وهنا حسبه أيضا أن الإجابة عن السؤالين ستقودنا إلى ما يلي: فأما السؤال الثاني فهو يقودنا إلى نظريات المؤامرة والمشاعر العظيمة قرينة الاضطهاد، أما السؤال الأول فهو كيف نصحح الوضع"[2] ومن أين نبدأ، ومن المهم أن نبدأ فعلا بتصحيح السياسات المحلية في دولنا العربية، والتي يمكن من خلالها تعزيز بعض المعايير ورفض معايير أخرى لا تتوافق مع تقاليد وثقافة وقيم هذه الدول، وهنا يمكن أن نجد مخرجا للتعارض بين القيم، فلا وجود لثقافة عالمية متماسكة، فمنذ التحول الحديث للعالم أدرك الباحثون المخاطر المادية والأعباء

[1]- المهدي المنجرة، مرجع سابق، ص104.

[2]- لورانس إ. هاريزون وصموائيل هنغتنتون، مرجع سابق، ص60.

الروحية التي تتهدد المجتمعات التي تخلت عن القواعد المعيارية الضرورية، حيث أن هذه الصورة القاتمة للوضع العام والأوضاع في الدول العربية تبين لنا أن هناك كسوفا للفكر التنويري في العالم العربي بشكل عام، وهو ما يستدعي ضرورة إحياء أصالة الأخلاق والعودة إلى حقيقة سماحة الدين الإسلامي بكل ما يحمله من قيم وفضائل واخلاق، من خلال ضرورات الثورة الفكرية عن طريق التعليم، على خلاف الفرضية والافتراض الذي أوجدته وسائل الاتصال الحديثة والتي تلغي بشكل مستمر كل القيود الأخلاقية والقواعد المنظمة للمجتمع، بالإضافة إلى السوق الاستهلاكية التي تجرد كل الأشياء من قيمتها بما في ذلك العلاقات الأسرية والاجتماعية والانسانية بشكل عام.

خاتمة:

إن ما يحدث في عالم اليوم يشبه إلى حد كبير ما أطلق عليه "زغمونت باومان" بالانعزال الثاني باعتبار أن الانعزال الأول حدث قبل أكثر من قرن ونصف، حينما ولدت الرأسمالية الحديثة وانطلقت التجارة الخالية من أي هم أخلاقي أو قيود قانونية، والجاهزة للخضوع فقط لقانون السلوك الخاص بالتجارة وحدها، وقد أدى ذلك إلى تقدم مدهش في الإمكانيات الصناعية ونمو رأس المال، إلا أنه في ذات الوقت ارتد ذلك الخروج عن الحدود ليتسبب في الكثير من البؤس والفقر وفي تفريق مذهل بين مستويات المعيشة، ليؤكد أن كارل ماركس صدق في وصفه للداعين إلى مجتمع أكثر إنصافا ومساواة وعدالة أنهم طوباويين، فلا يمكن إيقاف تقدم الرأسمالية على خط سيرها والعودة إلى نقطة البدء، فلا فرصة للعدالة والمساواة للتجذر في الواقع الاجتماعي الذي نحن عليه اليوم، ونفس الشيء بالنسبة للانعزال الثاني الذي بدأ من العولمة، فالتراجع عن عولمة الاعتماد الإنساني على المدى العالمي الذي أوجدته التقنية والمناشط الاقتصادية والبشرية لم يعد مطروحا في أقوى الاحتمالات ولن تنفع العودة (إن لم نقل لا يمكن)، والسؤال ليس كيف يمكن إعادة نهر التاريخ، ولكن كيف يمكن الكفاح ضد تلوثه بالبؤس الإنساني وكيف يمكن توجيه تدفقه لما يحمله من فوائد"[1]، وهو ذات السؤال الذي نطرحه بالنسبة للمجتمعات العربية من خلال ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة من جهة للحفاظ على القيم الأصيلة، وفي ذات الوقت استيعاب كل ما هو ايجابي من خلال كل القيم التي يحملاه التطور القادم من الغرب، ويمكن تحقيق ذلك من خلال ما يلي:

- الاهتمام بالتعليم والتكوين الجيد كبداية، والبحث العلمي كأساس لمستقبل أفضل فالتطور الاجتماعي والثقافي هو الذي يحدد مصيرنا.

[1]- زيغمونت باومان، مرجع سابق، ص ص105-106.

- تحيد وتحين وسائل الإعلام والاتصال سواء التقليدية أو الحديثة ضمن أطر أخلاقية يكون ضمنها احترام للمبادئ والقيم الأخلاقية التي تنظم سلوك المجتمع.
- ضرورة وجود توعية فعالة وإدراك لخطورة الأضرار التي يمكن أن تسببها وسائل الاتصال الحديثة كأحد العوامل الأساسية في تراجع القيم الأصيلة.
- ضرورة إدراك الصعوبات والمخاطر التي قد تواجهها الدول العربية نتيجة ازدياد هوة التواصل بين الأجيال في ظل الهوة الثقافية والقيمية التي تتشكل.
- ضرورات الإصلاح الداخلي بما يتوافق وقيمنا وديننا والابتعاد عن ثقافة الاستهلاك والتفاهة والبعد عن الدين وتفعيل دور المجتمع المدني، فالأجيال القادمة إذا بقيت الأوضاع تسير على نفس المنحى تعطينا أجيالا مشوهة لا تقدر قيمة الأشياء.
- ضرورة إيجاد السبل اللازمة لتنظيم حرية الاتصال والتواصل ضمن التكنولوجيا المتاحة.
- التأكيد على أهمية الأسرة ودورها في التربية السوية لأطفالنا باعتبار أن هؤلاء سيمثلون جيلا أفكاره سيصنع مستقبل هذه الدول ذات يوم.
- إيجاد سبل واستراتيجيات للتقليل من البطالة في البلاد العربية، وبالتالي التقليل من الآفات الاجتماعية وخلق رأس مال بشري كفئ.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم إسماعيل، **الإعلام المعاصر وسائله مهاراته تأثيراته أخلاقياته**، قطر: وزارة الفنون والثقافة والفنون والتراث، 2014.

2- أحمد فهمي، **هندسة الجمهور كيف تغير وسائل الإعلام الأفكار والتصرفات**، الرياض: مركز البيان للدراسات والبحوث، 2014.

3- إريك هوبزباوم، **عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز**، تر: فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.

4- ألكس ميكشيللي، **الهوية**، تر: علي وطفة، دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعية، 1993.

5- المهدي المنجرة، **عولمة العولمة**، ط2، الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2011.

6- أوتفريد هوفة، **الأخلاق السياسة في عصر العولمة**، تر: عبد الحميد مرزوق، القاهرة: المركو القومي للترجمة، 2010.

7- برونس روبنز، **الإحساس بالعولمة التعاون الدولي في مأزق**، تر: عاطف عبد الحميد، القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، 2005.

8- بيار كونيسا، **صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح**، تر: نبيل عجان، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

9- جان كلود برترند، **أدبيات الإعلام (ديونتولوجيا الإعلام)**، تر: رباب العايب، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2008.

10- فرنسيس فوكوياما، **الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي**، تر: معين الايمام ومجاب الامام، قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015.

11- فرنسيس فوكوياما، **مستقبلنا بعد البشري**، تر ايهاب عبد الرحيم محمد،أبوضبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006.

12- فؤاد زكريا، **آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة**،الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا لطباعة والنشر، 2004.

13- روجر روزنبلات، **ثقافة الاستهلاك: الاستهلاك والحضارة، والسعي وراء السعادة**، تر: ليلى عبد الرازق، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011.

14- زيغمونت باوملن، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، تر: سعد البازعي وبثينة الابراهيم، أبو ظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، 2016.

15- لورانس إ. هاريزون و صموائيل .ب. هنغتنتون، **الثقافات وقيم التقدم**، تر: شوقي جلال، ط2، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009.

16- محمد علي فرح، **صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع**، دراسات فكرية3، [د.م.ن]، مركز نماء للبحوث والدراسات[د.س.ن].

17- مركز الدراسات والترجمة، **أدمغة من ذهب الفرق السرية التي تحرك الشركات العالمية**،[د.م.ن]، [د.د.ن]، [د.س.ن].

18- يوهان كوستينغا، **ديناميكية اللعب في الحضارات والثقافات الإنسانية**، تر: صديق محمد جوهر، أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2012.

19- Marwan M.Kraidy,**Youth Media and Culture in the Arab World**, pennsylvania: Penn Libraries, 2008.

20- Arabe Social Media Report, vol1,n2, Dbai, 2011,p12.in: **http://unpan1.un.org/intradoc/groups/public/documents/dsg/unpan050860.pdf.**